1953 - لماذا تمّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

السؤال

أودّ أن أعرف لماذا صلى المسلمون تجاه بيت المقدس أولاً و لماذا غُيّرت تجاه الكعبة؟ جزاك الله خيراً..

الإجابة المفصلة

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة كان يستقبل بيت المقدس ، وبقي على ذلك ستة – أو سبعة – عشر شهراً ، كما ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال صلّى النبي صلى الله لعيه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ... الحديث .

ثم بعد ذلك أمره الله تعالى باستقبال الكعبة (البيت الحرام) وذلك في قوله تعالى : (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ...) سورة البقرة 144 .

وأما السؤال عن حكمة ذلك فقبل الإجابة عليه لا بدّ من تذكّر ما يلي :

أولاً : أننا نحن المسلمين إذا أتانا الأمر من الله وجب علينا قبوله والتسليم له – وإن لم تظهر لنا حكمته – كما قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ...) الأحزاب 36 .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى لا يحكم بحكم إلا لحكمة عظيمة – وإن لم نعلمها – كما قال تعالى : (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) الممتحنة 10 ، وغيرها من الآيات .

ثالثاً : أنّ الله سبحانه وتعالى لا ينسخ حكماً إلا إلى ما هو أفضل منه أو مثله ، كما قال تبارك وتعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) . سورة البقرة 106 .

إذا تبين ذلك فإن في تحويل القبلة حِكَما منها :

1- امتحان المؤمن الصادق واختباره ، فالمؤمن الصادق يقبل حكم الله جل وعلا ، بخلاف غيره ، وقد نبّه الله على ذلك بقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ...) البقرة 143 .

2- أن هذه الأمة هي خير الأمم ، كما قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ...) آل عمران 110 ، وقال تعالى في ثنايا آيات القبلة : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ...) البقرة 143 . والوسط : العدول الخيار . فالله عز وجل اختار لهذه الأمة الخير في كل شيء والأفضل في كلّ حكم وأمر ومن ذلك القبلة فاختار لهم قبلة إبراهيم عليه السلام .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده (6/134-135) من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أهل الكتاب : (إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة ، التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين) ولمزيد من المعلومات حول الموضوع يُراجع كتاب بدائع الفوائد لابن القيّم رحمه الله (4/157-174) .

والله تعالى أعلم .